

الربا والانهازام الحضاري

حارب الإسلام الربا حرباً لا هوادة فيها، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (١).

فلم يتوعد الله تعالى أحداً بالحرب إلا المرابين وأهل الربا والمتعاملين به، كما لعن رسول الله ، كل من شارك في هذه الكبيرة فقد لعن آكل الربا ومن يؤكله وكاتب العقد والشاهدين، كما في الحديث الذي أخرجه مسلم. ولعل السر في التوعد بالحرب واللعن أن الربا لا يقتصر أثره على المتعاملين به فحسب، وإنما يمتد ليشمل المجتمع والناس بل العالم أيضاً. كما هو مشاهد الآن ولا يحتاج إلى أدنى تدليل أو برهان. ويكفي ذكر ديون العالم الثالث التي تتضاعف سنة بعد أخرى فتعجز عن تسديد فوائد الديون المتراكمة ودعك من أداء أصولها. فلا يكون أمامها إلا الاستدانة لأداء الديون القديمة، وهكذا تقع هذه الدول في دائرة الاقتراض الجهنمية التي لا تستطيع منها فكاكاً وهروباً.

وفي الفقه الإسلامي قام الفقهاء بدورهم الحيوي في بيان المعاملات التي يصدق عليها أن تكون من الربا، ولم يكتفوا بذلك فحسب وإنما بينوا كذلك الحيل الربوية التي ظاهرها الصحة لكن الهدف من ورائها هو التوصل إلى الربا، وأخضعوا المعاملات المالية لقاعدة "كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا" والتي كانت دائرة

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

على ألسنة الصحابة رضوان الله عليهم. وظل الفقهاء على هذا الجهد المبارك حتى جاء الاستعمار الأجنبي إلى بلاد المسلمين وأحدث فيها تغييراً كبيراً في شتى جوانب الحياة، ومنها الجانب الاقتصادي وما فيه من بنوك ربوية وأسواق مالية تموّل البنوك المتعاملين في هذه الأسواق بقروض ربوية.

ووجد المسلمون أن عصب التجارة الخارجية بل وبعض مناحي التجارة والمعاملات الداخلية لا تكاد تستغنى عن البنوك، كما أن هذه البنوك أصبح يعمل فيها بعض المسلمين الذين ظلوا في ازدياد حتى أصبحت نسبة التوظيف مائة في المائة في معظم هذه البنوك. فكان المسلمون يسألون العلماء عن حكم التعامل مع هذه البنوك وحكم الأموال فيها أو الاقتراض منها أو العمل فيها.

وهذه الأسئلة أصبحت متجددة ومتكررة لأن تعاملات بعض المسلمين مع هذه البنوك يومية أو شبه يومية، ومن لا يتعامل معها على هذا النحو فإنه قد يضطر في بعض الأحيان إلى التعامل معها ولو مرّة في العمر. كان هذا في الماضي، أما الآن فقد تغير الحال كلياً وتعاضم تعامل المسلمين مع البنوك.

والذي يهمننا في هذا المقام أن العلماء وقفوا أمام هذه النازلة فريقين: الفريق الأول: وهم العلماء كلهم إلا القليل جداً، رأوا أن هذه البنوك بنوك ربوية تتعامل بربا الجاهلية الذي حرمه القرآن الكريم وتوعد عليه أشد الوعيد. والفريق الآخر وهم قلة قليلة من العلماء الذين حاولوا أن يكيّفوا الواقع ويلبسوه لباساً إسلامياً فذهبوا إلى أن تعاملات هذه البنوك تتوافق في الجملة مع أحكام الشريعة الإسلامية.

"لمزيد من التفاصيل و الدراسات يمكنك زيارة موقع الحاوية العلمية في
جامعة نجران

repository.nu.edu.sa

وموقع الجامعة

<http://www.nu.edu.sa>